حياة العلامة أحمد تيمور باشا (١)

« ذكريات شخصية »

مبدأ التعارف ونشأته وأخلاقه

لما هبطتُ مصر اول مرة في سنة ١٩٠١ أرادني احد أصدقائي وأظنه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار على ان أزور احمد تيمور بك وقال ان في بيته اليوم اجتماعاً يضم شيخنا الامام الشيخ محمد عبده وجماعته فبادرت شاكراً له دلالته ، فدخلنا داراً فوراء على الطراز القديم من البناء ، وكان في الجلسة طائفة من العلماء والادباء ، ومنهم فيما أذكر حسن باشا عاصم وقاسم بك امين وفتحي باشا زغلول والشيخ عبد العزيز شاويش والشيخ محمد المهدي والشيخ حسن منصور والشيخ احمد الاسكندري . ولا أذكر ان كان في الجمع يومئذ سعد باشا زغلول وحفني بك ناصف واسماعيل باشا صبري ومحمود سامي باشا البارودي وعلي بك بهجت واسماعيل بك رأفت وعبد العزيز بك محمد والسيد محمد البيلاوي وحافظ بك ابراهيم والشيخ احمد ابراهيم والشيخ عبد الوهاب النجار فان الجمع ما كان يقل عن عشرين رجلاً . وهؤلاء كانوا من حلقة الاستاذ الامام ومن أصدقاء احمد تيمور بك .

تجلت لي يومئذ ظاهرة من ظواهر عظمة مصر بعظماء رجالها ، ورأيت عطفاً على غريب صعلوك شاب اكبرت معه بما شهدت تناهي المصريين في التأدب والرقة ، خصوصاً اذا كانوا من هذا الطراز الممتاز . ولقيت ذاك اليوم من أدب صاحب الدار ما بهرني فانعقدت بيننا اواخي الاخاء . وهذا المجلس كان المرحلة الاولى التي فتحت أمامي الدخول في المجتمع المصري ، وتشرفت بعشرة هذه الطبقة المختارة . رحم الله من سبقونا الى الدار

(١) محاضرة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي القاها في غرفة المجمع في هذا الشهر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآخرة ومد في أعمار الاحياء منهم . غدوت منذ ذاك اليوم أحرص على الاجتماع باحمد تيمور ورعيله والاخذ عنهم ، وانشأت اكثر سوادهم لاني استطبت عشرتهم .

وكان تيمور في ذاك الحين يقرأ على الشيخ محمد محمود الذكري الشنقيطي امام اللغة في عصره . وقال لي هذا مرة انه لم ير في مصر من يفهم كلام العرب مثل الشيخ محمد عبده واحمد بك تيمور ، وذكر شخصاً آخر أنسيته . وكان تيمور تخرج في صباه في دار ابيه باستاذه الشيخ رضوان المخللاتي ولازم أستاذه الشيخ حسن الطويل فيلسوف الازهر وشيخ شيوخها مدة طويلة ، فأخذ عنه العلوم الدينية والعقلية والادبية . واتصل بعد ذلك بعلماء عصره كالشيخ العدوي والشيخ الهوريني والشيخ الحسيني ثم مؤخراً بالشيخ طاهر الجزائري . ولكثرة ما استهوى قلبه حب الشيخ محمد عبده ابتاع بجواره في عين شمس داراً بحديقة جميلة ونقل اليها من العاصمة خزانة كتبه ولازمه ملازمة المستفيد المغتبط .

وما زالت الصداقة تزيد بيني وبين احمد تيمور حتى كانت السنة التي أنشأت فيها مجلة المقتبس في القاهرة غرة المحرم سنة ١٣٢٤ . وكنت ازداد إعجاباً مما أرى من اخلاقه وحرصه على الاستفادة من مجلس الامام محمد عبده واللغوي الشنقيطي وأضرابهما ، ممن يغشون مجلسه او يغشى مجالسهم وأحس منه عزوفاً حتى عن بعض المشهورين ، وتحرزاً من مخالطة من لا يعرف ماضيه وحاضره . فكان وهو في تلك الحقبة من حياته بعيداً عن القوم قريباً منهم ، يهتم لسعادة أصحابه و يرمضه اذا نزلت بهم نازلة ، ويتبسط مع خاصته تبسطاً ما خرج فيه يوماً عن حدود الأدب والفكاهة ، وما تعدى حواره البحث عن ما في الكتب مطبوعها ومخطوطها والنظر فيما يعلي شأن الاسلام والعرب . واخذ قبيل ذاك العهد يكتب آراءه وابحاثه في جريدتي المؤيد والاهرام ومجلات المقتطف والضياء والهلال والمقتبس ثم السلفية والآثار والزهراء وغيرها . والغالب انه كان يكتب في المناسبات او متى أريد على معالجة موضوع غامض يحتاج الى درس ، او يعرض ما عنده من المواد المهمة التي يستعان بها على ظهور الحقيقة .

وكان لاول عهدي به لا يبين رأيه في بعض معاصريه ، وان كان منهم لا تروقه حركاته وأفكاره ، هذا وهو على يقين من ان بعض الازهريين كانوا منذ اخذت تعظم شهرته ، يحسدونه و يصغرون من شأنه . ومنهم من كان بعده في الخلاء لان احمد تيمور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على غناه وشرف بيته لا يهنأ له عيش الا اذا أنفق ماله على العلم وعلى المعوزين من المساتير. وما عدا ذلك من أبواب النفقات ليس له فصل في موازنة بيته ، بل كان عيشه في الحقيقة عيش اهل الطبقة الوسطى ، مع ان ما أوتيه من اليسار كان يتأتى له به ان ينفقه في ضروب من البذخ والرفاهية ، يسمو به الى محاكاة الطبقات التي تماثله بغناه في القطر المصري .

قلت انه كان ينفق على المساتير وربما كاد اقتصاده بعد امساكاً في نظر بعض من لا يعرفون للمال قيمة (مجلة المجمع العلمي م ٤ ص ٢٤١) ولا يحكمون على ارباب المروآت الا بما يبدو من مظاهرهم وظواهرهم . فكان مايرمى به حسداً ولؤماً يترامى الى سمعه فيبتسم ولا يفوه بكلمة . غبرت ايام وأعوام ثبت بعدها من طريق احد المفضل عليهم انه كان يدرُّ المشاهرات على بيوت كثيرة في مصر ، قعد الدهر بارابها فأعجزهم عن الكسب . فكان يرسل اليهم على رأس كل شهر مع احد مستخدمي دائرته بما يقوم بنفقتهم سراً ويأبى عليه شرفه ودينه ومكارمه اذاعة ماتجود به نفسه ، فيتكتم بحسناته جد التكتم ، وقد اخذ العهود على من يحسن اليهم ان لا يذيعوا له سراً . ولما اشتهر امر صدقاته شق عليه ذلك فتظاهر بان أطيانه أصيبت لاتعطيه الربع الذي كان يأتيه منها وانه في ضائقة من المال اضطرته الى تخفيف نفقاته . وبعد مدة أصبح هؤلاء الذين عاشوا زمناً بنعمته يتنا ولون من المصرف حوالات مالية تأتي باسمائهم وهم لا يعرفون مصدرها بل ان المصرف ذاته لا يعرف حقيقة مرسلها . فتأمل بربك هذه النفس الكريمة المسلة وهذه الأخلاق التي لا تشهد مثلها في مئة غني من اغنياء زماننا .

حقيقة ان وجه الغرابة في تربية مترجمنا هو انه اخذ من العلم أقصى ما يمكن اخذه لمن كان في أصالة بيته ، فأتقن من اللغات العربية والافرنسية ، وهذه درسها في مدرسة (مارسيل) مدرسة أبناء الاعيان خمس سنين ، وتلقف الفارسية والتركية على أساتذة خصوصيين ، ونشأ يتيماً في حجر أخته المرحومة عائشة عصمت التيمورية الشاعرة الاديبة المشهورة فجاء منه مع هذا الغنى رجل علم ورحمة وقصد وتدين وعزوف عن المظاهر والاشتغال فيما ينفع . ولو أراد لاول امره على ما لابيه وجده من المنزلة عند الأسرة المالكة ان يدخل في المناصب الحكومية لخطبته الوزارات ، ولما تخطته الرئاسات والزعامات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكن كان نبوغه ينحصر في دائرة خاصة ولا تنبعث مواهبه العلمية الانبعاث الذي قدر لها باشتغاله في جو هادىء لا تكدر صفوه مشاغب الاحزاب ولا متاعب السياسة واهواؤها فاقتصد من وقته في هذه الناحية . وشغله طول عمره في ملاذ روحية من مطالعة و بحث وتأليف قلّ ان تتاح لكثير ممن شغفوا بالعلم ، وحاولوا استثماره لفائدته ولذته لا لمقصد آخر .

قلت كانت لابيه وجده المنزلة العليا عندالأُسرة العلوية . جاء جده احمد مع جد شاعر العصر احمد شوقي بك الى مصر، وكانا من ابناء الاكراد ، وجدّ مترجمنا من مدينة الموصل ، ارسلهما والي عكا الى محمدعلي الكبير واوصاه بهما خيراً قائلا ان النجابة بادية عليهما وانهما سيبلوان البلاء الحسن في خدمة الدولة المصرية ، فعين جد مترجمنا في وظائف انتهت به ان عد في آخر امره من قواد محمد علي ، كان ابنه من بعده رئيس الديوان الخديوي . وخلف اطياناً كان ما اصاب المترجم منها مع ماابتاعه بأُخرة من بقية الورثة نحو ثلاثة آلاف فدان ، وكان يتعهدها احسن تعهد ولا تعوقه عن طلب العلم بل تساعده على اتمام رغائبه منه . وكم من ابناء الاعيان امثاله من اورثهم آباؤهم الوف الافدنة فلم يحسنوا استغلالها ، وانفقوها بسوء تربيتهم في شهواتهم واسرافهم او ضاربوا فاستدانوا فافتقروا . اما هو فخالف جمهرة جيله فكان بالتربية الاسلامية العالية التي لقنها في صباه غنياً بماله ، غنياً بعلمه ، غنياً بتدبيره وعقله . تجردت نفسه الكريمة عن المطامع ، ومعهذا اقبلت عليه الدنيا من طريقها المشروع المعقول .

غرامه بالكتب واحتفاله بجمعها

عرفنا بما تقدم ان بيت تيمور كان بيت علم وفضائل ومجد تليد طريف . فلما نشأ عالمه هذه النشأة الطيبة ، رأى في داره خزانة كتب صغيرة لم تشبع نهمته العلمية فقام في نفسه منذ سنة ١٨٨٩ ان يقتني من المخطوطات والمطبوعات ما يتلاءم موضوعه مع ما غلب عليه من العلوم ، وما يزال ينفق على اقتناء مجموعاته عن سعة وهو يطالعها و يعلق عليها ويخدمها بالفهارس والحواشي حتى تألف منها قبيل وفاته خزانة كتب تقدر بنحو ثلاثة عشر الف مجلد ، عدا الصور التاريخية والآلات الفلكية ومحابر واقلام كانت لبعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المشاهير ونحو نصف خزانته مخطوط او مصور بالتصوير الجديد . وقد وضع لمخطوطاته قائمة جليلة كانت مرجعاً لكل طالب وطابع وناشر من العرب والمستعربين من علماء المشرقيات ، وقلما كان يضن بها على احد ، يعيرها حتى الى البلاد البعيدة ، فاشتهرت في الشرق والغرب ، وعُدّت بحق اهم خزانة خاصة في بلاد المشرق لغناها بمخطوطاتها النادرة ، ومنها عشرات من الكتب كتبت بخط مؤلفيها او قرأ فيها اعلام من رجال السلف او قرئت عليهم وعلقوا عليها واجازوها .

أتيح لي ان اصف هذه الخزانه التيمورية في سنة ١٣٣٠ هـ وكانت اذذاك نحو ثمانية آلاف مجلد . وكان صاحبها دعاني مع أستاذي العلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري الى زيارتها في عزبته في قويسنا من عمل مديرية المنوفية في الدلتا وهي احدى مزارعه كان يؤثرها على غيرها لان اباه وامه كانا يحبان المقام في قصرها وينزلان فيها اياماً معدودة من كل سنة . ذلك ان احمد تيمور اسودت العاصمة في وجهه بعد وفاة شيخه وصديقه الشيخ محمد عبده وزهد بعده بالدار التي كان اقتناها في جواره فرأى ان ينقل خزانته من عين شمس وحملها الى قويسنا ورتبها في خزائنها احسن ترتيب فكان يفزع اليها كل حين ليطالع ويؤلف .

ولقد قضينا في ضيافته ثلاثة ايام كان خلالها يقرأ علينا اسماء الكتب المخطوطة وأستاذنا الجزائري يتولى الترجيح في اختيار الاندر فالاندر ، فوصفت الخزانة اذ ذاك في احدى وعشرين صفحة في المجلد السابع من مجلة المقتبس . ولقد قلت له يومئذ ان وجود الخزانة في داره بقويسنا لا يؤمن عليها من الحريق ، لان الدار متلاصقة مع بيوت الفلاحين ، والفلاحون يضعون الخوص والعيدان على سطوح بيوتهم ، فاذا سرت النار الى بيت من البيوت لا تلبث العزبة وما اليها ان تحرق في ساعة . وفي ذلك من الخسارة على العلم ما فيه . فاجابني ان في نيته ان يعمرها داراً في مصر ينقلها اليها ، وغبرت مدة واشترى ارضاً في الزمالك احد الاحياء الجديدة في القاهرة وعمرها ونقل الخزانة اليها بعد سنة ١٣٤٠ وكتب (في ٢ يونيه ١٩٢٣) يقول : « ان الخزانة رتبت والحمد لله ولم يبق الا عمل فهرس جديد لها على الطراز الحديث في الجزازات ولا بد لها من ثلاثة فهارس فني ومعجمي وآخر لاسماء المؤلفين فأرجو ان يوفقني الله لمن يقوم بعمله لان أشتغالي به سيعطلني عما بيدي . » ثم وقفها ووقف عليها بعض اطيان تقوم بنفقاتها ، وجدّ واي جدّ في ابتياع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما ينقص مجموعته في كل علم من المطبوعات والمخطوطات ، وربما لا يقل ما انفق عليها عن مئة الف جنيه ، ثم نزل عنها للامة المصرية الكريمة بل للعلم العربي الاسلامي فأعظم بها من مأثرة ..

سعة علمه التي جعلته مرجعاً

توطدت صلات الحب والتشاكل في وحدة المقصد في سني ١٩٠٦ و٧ و٨ بعد نشري مجلة المقتبس فكان يؤازرني فيها ، ويعيرني كثيراً من مخطوطات خزانته اكتب في وصفها في المجلة ، فلما رحلت عن مصر الى دمشق في آخر سنة ١٩٠٨ بعد انشاء الدستور العثماني استعضنا عن المسامرة والمذاكرة ، بالمراسلة والمخابرة ، ولم تكد تنقطع رسائله او رسائلي مدة قصيرة الا لمعذرة كمدة الحرب العالمية الكبرى ، وقد انقطعت المواصلات بين مصر والشام اربع سنين . وجدت في اضبارة خاصة برسائله الي مئة واربعين رسالة عدا ما أرسله باسمي الى المجمع العلمي العربي مباشرة منذ أواخر سنة ١٩١٩ . ومجموعة رسائله خلاصة علم ودرس وبحث عن المفقود او الموجود من المخطوطات ومنها مشاكل في اللغة والأدب والتاريخ .

ولقد كنت منذ توطدت بيننا أواصر الصداقة التي زادها تمكيناً وجود أستاذي الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة مدة ثلاث عشرة سنة وكان هو على اتصال وثيق به بعده أعز عزيز عليه بعد شيخه الامام محمد عبده — اذا عرض لي او لبعض أعضاء المجمع اشكال لغوي او تاريخي او أحببت ان أعرف كتاباً في موضوع يهمني البحث عنه لا أجد من يشفي غلتي خصوصاً بعد فقد أستاذنا الجزائري غير المرحوم احمد تيمور . ومجموعة كتبه الي تؤلف مجلداً مفيداً جداً في هذه الابحاث . ولاسيما ما كان منها ذا علاقة باسفار القدماء من الأسلاف فهو في هذا الموضوع المفرد العلم والصدر المقدم والبحاثة الواسع المادة ، البعيد النظر ، الصحيح الاستنتاج والاستقراء . ساعدته على ذلك جودة ذاكرته وتقييده في دفاتره كل ما يعثر عليه في الكتب التي يقتنيها ويصنف لها الفهارس التي تقرب منال الاخذ منها على أحدث طراز في هذا الباب .

رأيت كثيرين من غلاة الكتب من الشرقيين والغربيين وقل ان عرفت مثله من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا تكلم في الكتب كان كلامه عن ذوق وتحقيق . وذلك لانه يطالع كثيراً ويقيد كل ما يظفر به ولا ينسى ويحسن الاختيار ويجوّد النقد . وقد كتبت له عامة أسباب النجاح في هذا الباب لانه عالم يُعنى بتعهد علمه بالتنمية كل يوم ويجمع الكتب ويحرص على اقتناء نوادرها خصوصاً ، ويغلي لها الثمن معتقداً انها هي الكنز الثمين . وكان اذا صارت الاسفار الى ملكه لا يلقيها كما يلقيها اكثر هواة الاسفار ويبرد شوقهم اليها بمجرد تقليب صفحاتها والالمام بمضامينها او بمجرد انتقالها الى خزائنهم فقط فتراهم يرجئون النظر فيها اذا ملكوها لتشاغلهم بامر آخر او لانهم ممن يهوون جمعها وشكلها ويزهدون بما في بطونها . اما هو فيشرع حالاً بدرس مايقتنيه ويتناولها باليمنى فرحاً بقدمها ، مقدساً لعمل مؤلفها معتبطاً باقتنائها يحملها بالتجلة ويودعها قمطره بالاعظام ، ولا يزال بها حتى يحفيها درساً بالفاظها ومعانيها . ولطالما هنأني على ما كنت أظفر به من نوادر المطبوعات والمخطوطات كأنني ولد لي مولود او أظفرني حسن الطالع بعزيز مفقود . وفي العادة ان يضن غلاة الكتب بكتبهم اما هو فقد تعوّد بسط الكف فيها لان غايته منها نشر العلم واحياء آثار السلف . كتب اليّ مرة (٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٢) يقول : « نقلت لك ترجمة الصدر الآمدي من مخطوطين نادرين عندي ولا يبعد ان يكون السخاوي ترجمه ايضاً في الضوء ولست على يقين من ذلك لان نسختي استعارها احد الاصحاب من ثلاث سنوات ولم تزل عنده ولا يريد ردها وكلما احتجت الى الكشف عن ترجمة أذهب الى عنده واكشف عنها . » فتأمل هذا الشغف بنشر العلم وهذا اللطف حتى مع المتساهلين في رد الكتب الى أربابها ، وقد تكون مما لا يقع عليه ثمن .

مثال من تهذيبه

لما صح عزمي على نشر كتابي « خطط الشام » كان يبعث اليّ في البريد بالنوادر من المخطوطات التي أطلبها او لا اطلبها ، عساني اظفر فيها بجمل تدخل في موضوعاتي ، وكنت أعيدها الى مصر في البريد المضمون ، ولا ترتاح النفس الا اذا اخذت علماً منه بوصولها ، فاسدي بذلك اليّ يداً لا تنسى على وجه الزمان ، ومنها ما كان ينسخه بالتصوير الابيض على الاسود ويرسلها هدية الى المجمع العلمي العربي وكثير مما في خزانة المجمع من هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النوادر المصورة هو من هدايا احمد تيمور ، ولطالما اهدى اصحابه ومن يعملون لمصلحة عامة اشياء من هذا القبيل ولم تؤسس في الشرق العربي خزانة كتب الا كانت هداياه اليها اول الهدايا . لا يضن في هذه السبيل بعشرات الجنيهات اذا ايقن من ورائها خدمة للمسلمين والعرب .

ولما تم تأليف الخطط وقد خدمه بعلمه وماديانه وشعر بانني اريد ان اقدمه اليه عرفاناً لجميله تأفف وتنصل وحاول ان يقنعني بالعدول عن قصدي ومما كتبه اليّ في هذا الشأن (٩ جمادى الاولى ١٣٤٢) :

« سرني اهتمامك بانجاز الخطط وهو ما كنت احثك عليه دائماً فأسأله تعالى ان يتولاك بعنايته وتوفيقه حتى تتم هذا العمل العظيم النافع وقد احسنت كل الاحسان في تخصيص فصل منه لتاريخ الشام السياسي كما فعل من كتب قبلك في الخطط واذا وفقت الى طبعه على مثال طبع المجلة فسيكون على احسن مثال . اما صورتي فليس عندي احدث منها لاني لم اصور نفسي بعدها وتصدير كتابك بها فضل كبير تطوق به عنقي وتنبه من ذكري ولكن هل لك ان تسمع كلمة مني واقسم لك انني لا اقولها تواضعاً وتخاشعاً وهي ان تعدل عن ذلك لاني لا ارى لي من الفضل ما استحق به ان اصور في فاتحة كتاب كهذا وما هو بمنع مني ولكنه رجاء أرجو ان تقبله . » وعاد في كتاب فكرر هذا المعنى راجياً اعفاءه من هذه المقدمة قال (٢١ جمادى الاولى ١٣٤٣): وصلني كتابك فأخجلني مافيه وقد كنت استعفيتك من وضع صورتي في الخطط فأكرر الآن هذا الاستعفاء شاكراً حسن ظنك وجميل رأيك و بعلم الله اني لا أقول ذلك تواضعاً فهل لسيدي ان يحسن اليّ باعفائي من ذلك وله مني الشكر الجزيل والثناء المكرر . » وكتب ايضاً بهذه المناسبة بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٤٣ : « وصلتني الملزمة الاولى من الخطط وقرأت مقدمتها واذا ساغ لي شكر سيدي الحبيب على مانفضل من التنويه بي افلا تسوغ معاتبته على هذا الغلو والاغراق . حقاً يا سيدي انك بالغت مبالغة أخجلتني فيها وأخجلتني فلا أدري ما اقول والله سبحانه يجزيك خير الجزاء على حسن ظنك بي الى هذا الحد . » وهكذا كان أدب نفسه يوم أراد صديقه ان يقابل بعض جميله و يقول في نعته مايعتقده و يعتقده كل من سبر غور اخلاقه وسمة علمه . وهو يستقل ما يعمل ، شأن ارباب الهمم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العالية و يستكثر مايعمل له ، فقد أهدى دمشق مجموعة بديعة من النقود القديمة قال لي صديقي امير الشعراء احمد شوقي بك انه لم يجمعها هو وحده بل جمع فيها ابوه وجده من قبله ، ومع ذلك كان في اهدائها متواضعاً . فقد كتب لي في ٢ رجب سنة ١٣٤٢ « عندي مجموعة نقود قديمة من دنانير ودراهم وفلوس جلها من النقود العربية وعددها (٤١٨) قطعة ومعها مجموعة أختام قديمة عددها (٣٤) قطعة وقد رأيت اهداءها لدار الآثار العربية بدمشق وكتبت لكم جريدة ببيانها وسأسلمها جميعها لحضرة السيد الكسم ليحملها اليكم في عودته فأرجو التكرم بقبولها وغض النظر عن تفاهتها ولكم الفضل » . وعاد فأكمل هذه المجموعة بمجموعة أخرى من الدنانير الذهبية القديمة وعدّ كل ذلك تافهاً .

بعده عن الظهور وإيثاره العزلة

لما تولى جلالة الملك فؤاد ملك مصر منحه رتبة الباشوية فتحمل لانها صدرت عن عاطفة عالية نحوه ولم يسعه الا قبولها . ولما هنأته بها أجابني : « اما الرتب فسيدي يعلم رأيي فيها من قديم ولكنها لما كانت عنوان العطف شكرت مولاي السلطان بقلبي ولساني على عطفه » . ولما عين عضواً في مجلس الشيوخ ضاق صدره ايضاً فكتب اليّ (١٠ آذار سنة ١٩٢٤) يقول : اما عضوية الشيوخ فقد تورطت فيها إطاعة لرغبة جلالة الملك وحاولت التنحي فلم أفلح اذ لا يخفى على سيدي دقة هذا المركز في وسط العاصفة الثائرة ولا سيما ان امر البت في مصير القطر سيكون في هذه النوبة من انعقاد المجلس وهو ما كنت أتوخى الابتعاد عنه ما امكن لاسباب كثيرة تعرفها » . وكتب ايضاً : (١٦ ربيع الثاني ١٣٤٣) « صحت عزيمتي على الاستقالة من مجلس الشيوخ وكنت على وشك تقديمها لولا عقبات قامت بوجهي اهمها استرضاء جلالة الملك فارجو الله تعالى ان يهيئ لي باب الخلاص .

وحقاً انه كان يحب الابتعاد عن السياسة كل البعد ، ولكن مصالح بلده تستلزم استدعاءه في الأحايين ، فكان الموضوع الذي يلذه كونه عضواً في مجلس الازهر ، وعضواً في مجلس دار الكتب المصرية ، او في كل مجمع علمي مؤسس في مصر او غير مصر ، اما كونه عضواً في الشيوخ فهذا مالا ترضى عنه نفسه ولا تسمح بالاضطلاع به تربيته ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الذي عاش هادئاً مسالماً بصرح بما يعرف ولا يتعدى طوره . كتب يقول : (في ٢ يونيه سنة ١٩٢٣) « يعلم سيدي الاخ اني لا أعرف من السياسة الا مادة ساس يسوس التي أراها في المعاجم فاذا ذكرت الحكومة بخير او بشر فانما أذكرها من الوجهة العلمية فقط . فمن دلائل عناية الحكومة الحاضرة بالعلم الانعام برتبة باشا على صديقكم احمد كمال باشا الاثري الشهير وتقرير طبع معجمه المصري العربي الفرنسي على نفقتها وستشرع في ذلك قريباً واحداث مدرسة للسان المصري يتولى هذا العلامة التدريس فيها اما المعجم ففي عشرين جزءاً ولا يستطيع طبع مثله في الشرق الا الحكومات » .

وكتب في ١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ : « ويظهر ان الوحدة من الوسائل الناجعة في صحتي لتفرغي فيها لما اشتهي من المطالعة في راحة وهدوء بال وبعد عن القيل والقال ومجالس المدن التي أصبحت أجد نفسي غريباً عنها ، ولله در من قال :

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل

وكتب في ٢٢ رجب سنة ١٣٣٨ : « وقد كان سيدنا وأستاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله ورضي عنه منزعي الوحيد عندما اكون بالقاهرة فشاء القدر ان يفجعنا به ولا يبقي لنا من تلك الايام الا الذكرى المؤلمة والاسف المتواصل . حالنا يا سيدي الاخ عجيب غريب في هذا التطور الجديد . فقد اصبحت العامة والخاصة الجهال والعلماء في مستوى واحد من الآراء ونعمت والله الحالة لولا انه عمل صالح مرفوع الى أسفل ونتيجة منطقية تابعة للاخس من المقدمتين . فقل لي بعيشك اي انس في الاجتماع واية لذة في المخالطة وقد أصبح من المتحتم على المرء قبول كل مايقال على تغيره ونناقضه كل يوم والا فالويل له ثم الويل . ولهذا تراني في اكثر اوقاتي جانحاً بوحدتي بقربسنا مكتفياً بمنادمة كتبي وقد أنجزت في هذه الفترة بعض ما كانت تتوق اليه نفسي من المواضيع ولعلي أوفق الى طبع بعضها متى انخفض ثمن الورق » . وكتب ايضاً (في ٢٩ شوال سنة ١٣٤٤) : « احوالنا الخاصة والعامة غير مرضية فقد بعنا القطن بثمن بخس لا يفي بنفقاته وخسر المزارعون هذه السنة خسارة كبيرة ، اما الاحوال العامة فسيدي عالم بها من الجرائد الضالة المضلة والمصير مجهول ولكن الله لطيف بعباده » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مجموع هذه النتف من رسائله تتجلى روح احمد تيمور ، وبعد نظره في مسائل وطنه وان زعم انه لا يعرف مداخلها ومخارجها .

حرصه على المصلحة العلمية

لما صدر الامر بتوقيف اعمال المجمع العلمي العربي في أواخر العهد الفيصلي ساءه ذلك جداً وكتب مرة (٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٣) : « رأيت في بعض الجرائد السورية نبأ ساءني عن المجمع والعزم على الغائه فعسى ان يكون نبأ كاذباً . فلا يهدم بذلك اعظم صرح من صروح النهضة اللغوية في الشرق » . وكتب قبل هذا التاريخ (٥ شوال سنة ١٣٤٠) : « وقد كان سروري لا يقدر من النبإ الذي بشرتموني به بثبات المجمع وبقائه وهو البقية الصالحة والامل الوحيد لانصار العربية » . وكتب (٤ يناير سنة ١٩٢٣) : « اننا في حاجة كبرى لألفاظ عربية تغنينا عن الدخيل ولهذا نرحب بكل لفظة فصيحة ترادف أخرى دخيلة ، بل النظر في وضع هذه الألفاظ من اهم ما تشتغل به المجامع اللغوية ان لم يكن اهمها كلها ، وقد عني مجمعنا الدمشقي بذلك واتى بفوائد لا تنكر » . وقال في نفس هذه الرسالة : « المجمع املنا الوحيد في إنهاض اللغة فلهذا نقابل كل خبر سيئ عنه بارتياع عظيم فنشكر همة الاستاذ الكبير فارس بك الخوري ونرجو ان يكون في اتباعه للاتحاد السوري ما نؤمله له من الثبات » . وكتب (٣ رجب ١٣٤٤) : « ساءني جداً فتور المجمع عندكم وتوقف المجلة عن الصدور وهي التي كنا نعدها من مفاخرنا » .

اما بشأن المجامع التي أُلفت لغرض خدمة العربية بمصر ، فقد كتب (٢٦ جمادى الاولى ١٣٣٧) : « واما الاخبار العامة فتأليف المجمع اللغوي برئاسة شيخ الجامع الازهر وانضمام من هبَّ ودبَّ اليه والامل فيه قليل والسير بطيء وقد مضى علينا سنتان لم نضع فيهما شيئاً ونفسي تحدثني بالاستقالة منه وقد فاتحت الاستاذ الطاهر في ذلك فصوَّب رأيي ولكنه أوصاني بالتريث » . وكتب ايضاً : « اما مجمعنا بمصر فلا أدري ما قُدِّر له ولا أخفي عليك اني أميل فيه الى التشاؤم ولا سيما بعد ان سمعت اقتراحات لبعضهم بضم أشخاص اشتهروا بانتصارهم للعجمة وفتح الصدر لكل دخيل وسنرى ماسيكون فربما كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حكمي غير مصيب وارجو ان يكون كذلك » . وكتب (٢٢ رجب ١٣٣٨) : « الحركة العلمية بمصر نائمة ومجمعنا اللغوي في حكم المعدوم » . وكتب في ٦ يوليو سنة ١٩٢٣ : وفيه دليل على شدة غرامه باحياء آثار السلف قال : « اخبر سيدي بخبر اعرف انه يسرّه ولكني اودّ ان يظلّ مكتوماً حتى نبدأ فيه بالعمل فانه لم يزل الى الآن في حيز القول ذلك ان الفاضلين النشيطين الشيخ عبدالمعطي السقاء المدرس بالازهر واحدالمولعين بالكتب والسيد محب الدين الخطيب فكّرا في تأليف شركة لاحياء مآثر السلف بالطبع على نمط جمعية المعارف القديمة وخاطباني في ان اتولى امرها فرضيت بان اتولى السعي فيها واقترحت ان تسند رئاستها لصاحب المعالي حشمت باشا وزير الخارجية الآن اعترافاً بفضل الرجل لانه صاحب اليد البيضاء على مشروع إحياء الآداب العربية لدار الكتب والواضع له وكل كتاب يطبع فيها الآن فهو من ثمرات غرسه فوافقا ، ثم قيدنا اسماء من رأيناهم يصلحون لان يكونوا مؤسسين واعضاء لمجلس الادارة ممن يثق الناس بهم واشتهروا بعلم او جاه او ثروة واخذنا نطوف عليهم نعرض عليهم المشروع ونبين لهم فوائده فما قوبلنا من اكثرهم الا بالفتور والوجوم ولم نر من حشّ للمشروع وحث عليه غير اسماعيل رأفت بك وعلي بهجت بك ولكن ذلك لم يمنعنا من الدأب ومواصلة السعي حتى يتم المرغوب ومتى وفقنا لتأليف الاعضاء نعرض امر الرئاسة وقتئذ على حشمت باشا والله سبحانه الموفق » .

واشار في رسائل له غير مرة الى يأسه من قيام الاعمال النافعة بايدي الافراد والى ان القوم في وادٍ آخر . وبقدر ما كنت تراه يحرص على إحياء آثار السلف لعلمه بانها التركة الثمينة الناطقة بمدنيتنا النافعة في حاضرنا ومستقبلنا ، كان يرغب عن إحياء الكتب التي يعتقد الضرر بنشرها ، فقد كتب (في ١٤ ابريل ١٩٢٣) : من اخبار الكتب ان السيد كاظماً الدجيلي كتب يسألني عن كتاب المثالب لابن الكلبي وانه عثر على قطعة منه بالعراق يود تكميلها ، ولا يخفى انه في مثالب العرب . فكتبت اليه اني لا اعرف عنه شيئاً ، وقلت له انه وان يكن بعدّ من النوادر فليت كل نادر مفقود كان من نوعه فليذهب غير مأسوف عليه » .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلام على تآليفه

قلت ان احمد تيمور كان عزوفاً عن الناس وكان ايضاً زاهداً في الشهرة فشهرته كانت تتبعه بالضرورة وما كان في الواقع عبداً لها يتبعها فتستجيب له او لا تستجيب ، ولو قصد الى الشهرة لكانت منه على طرف الثمام ، ولكان يُعنى على الاقل بطبع مؤلفاته في حياته ويقلل من العناية بجمعها مكتفياً بما تهيأ له . واكثر ما ألفه وطبعه في حياته كانت تدعوه اليه الدواعي مثل رسالته في الرتب والألقاب فقد كتب اليّ في « ٢٥ جمادى الاولى ١٣٤٣ ، واني أشكر سيدي الاخ على تفكيره في إعادة طبع بعض آثاري التافهة التي لا تحق هذه العناية ، فرسالة الرتب والالقاب لم أضعها في الاصل لتطبع بل جعلتها مادة أقدمها للحكومة للمناقشة فيها في الوقت الذي عزمت فيه على تغيير الالقاب فلما رأيتها أبقت على أغلب الالقاب الاعجمية ضربت عنها صفحاً ، ثم رآها عندي السيد محب الدين الخطيب فنقلها ثم تكرمتم بطبعها ، واما طبقات المهندسين فلا أظن في نشرها بمجلة المجمع فائدة بعدما نشرت بالهندسة فلندع صفحات المجلة لما هو أفيد منها وعسى ان اجد فرصة لأعيد النظر فيها وأضم اليها زيادات اطبعها على حدة » .

وكتب في (٢٢ ذي القعدة ١٣٤٣) : « رحلت هذا الشهر لبعض البلاد المصرية ترويحاً للنفس فقادني الطواف الى المنصورة فزرت بها اثراً اثاراً يخيّاً نفيساً هو بقايا دار ابن لقمان التي اعتقل بها لويز التاسع في إغارته على مصر وقد كتبت بحثاً عن هذه الدار رجعت فيه الى المصادر العربية والافرنجية وسلمته امس قبل سفري الى اخينا محب الدين لينشره في الزهراء . وقد كان لهذا الاثر ياسيدي اثر في نفسي تذكرت به ماضينا وسألت الله ان يلطف بنا في حاضرنا ويهيئ لنا منه مخرجاً فهو اللطيف بعباده » .

وكتب في (٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٠) بشأن كتابه التراجم مانصه : « كتاب التراجم لم أشتغل به الا يسيراً ومرادي ان يكون خاصاً باعيان الشرق في القرن الثالث عشر الهجري اي ان يكون كالذيل لسلك الدرر ثم ألحقه بذيل في تراجم اعيان اوائل القرن الرابع عشر وكل ما أنجزته منه لا يخرج عن تمهيدات وسأخلص فيه من الجبرتي ومن خطط علي باشا وأضم بعد ذلك ما استطيع جمعه . الا ان معجم العامية المصرية والكلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على اصولها وما يقابلها من الصحيح يستغرق اوقاتي كما تستغرق اوقاتكم الخطط ومن الله تعالى نسأل الاعانة والتوفيق » . وقد اتم التراجم فيما احسب وكذلك معجم العاميـة المصرية وهو من المدهشات في التحقيق اللغوي يدل على علم واسع جداً وقد نشر منه نموذجات في مجلة المجمع العلمي العربي في بضع مقالات وربما كان هذا السفر كتابه الخالد لانه صرف فيه اوقاتاً طويلة وجوّد كل الاجادة . ومنها كتابه نوادر المسائل « وكان كلما مرت به مسألة نادرة او حادثة غريبة او توضيح لمشكلة خلال مطالعـاته الكثيرة يقيد ذلك في كراسات مع بيان اسماء هذه الكتب المشتملة على هذه النوادر ورقم الصفحة التي احتوتهـا واجتمع له منها شيء كثير رأى في آخر ايامه ان يرتبه ويضم الشكل الى شكله و يطبع ذلك و يقدمه الى العلماء والباحثين طرفة لم يقدم اليهم مثلها » .

وقال الاستاذ السيد محب الدين الخطيب ان هذا الكتاب هو الأُم لمؤلفـات تيمور باشا كلها بل هو خلاصة مطالعاته واطلاعاته وسماه معجم الفوائد . وللمترجم له من الآثار التي ألفها عدة رسائل وكتب ومنها البرقيات وهي كلمات تؤدي كل منها معنى جملة كاملة . ومنها رسالة في التصوير عند العرب نشرت في مجلة الهلال ولكن زاد فيها زيادات عظيمة . ومنها الامثال العامية وهي نحو خمسة آلاف مثل عامي . ومنها لعب العرب . ومنها نقد القسم التـاريخي لدائرة معارف فريد وجدي وطبقات المهندسين جرى فيه على نسق طبقات الحكماء للقفطي وطبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة . ومنها ذيل طبقات الاطباء . كان يجمع مواده و يكتب مذكرات عن مصادره ولا نظنه تمكن من إتمامه (مجلة الزهراء م٥ ج ٧ — ٨ ص ٥٦٥) .

ومن رسائله التي لم تطبع : الآثار النبوية ، ومفتاح الخزانة خزانة البغـدادي وهي ثلاثة عشر فهرساً ، ومما طبعه رسالة في اليزيدية وأُخرى في حدوث المذاهب الاربعة وثالثة في تاريخ العلَم العثماني ورابعة في قبر السيوطي وخامسة في تصحيح لسان العرب وسادسة في تصحيح قاموس المحيط وسابعة في ابي العلاء المعري وعقيدته وثامنة في الحلقة المفقودة من تاريخ مصر . ومن أهم ما عاقه عن نشر كثير من تآليفه ميله الى التحقيق واشباع الموضوعات حقها او تحاميه احياناً من الدخول في مآزق لا تسمح له تربيته بالتورط فيها . فقد كتب بشأن رسالة التصوير ما نصه : « اما التصوير فكنت كتبت مقالة عنه عند العرب في الهلال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٧ — ٥١٣ — ٦٠١) وربما كان فيها مايفيدكم ولكن هذه المقالة أصبحت لاشيءً جنب ما جمعته بعد ذلك في رسالة خاصة أتممتها وأعددتها للطبع تمنعني من طبعها الآن ان ذكر العرب حتى نبيهم عليه الصلاة والسلام بخير أصبح معدوداً عند عامتنا ومن على شاكلتهم عنواناً لبغض الكماليين فأخرت الطبع خوفاً من الإهانة . وقد اطلع على هذه الرسالة صديقنا الاستاذ جرجي فأعجبته وشدّد عليّ في سرعة اظهارها فذكرت له عذري في تركها الآن » . اما مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات في موضوعات علمية وأدبية وتاريخية ولغوية فانها لو جمعت لجاء منها مجلدان لطيفان نافعان . فعسى ان تصح همة نجليه الفاضلين اسماعيل بك ومحمود بك على ان ينشرا ماخلف الفقيد العظيم من نفثاته وتحقيقاته خدمة للعلم وتخليداً لذكره في العالمين .

تعصبه للاسلام والعربية

كان احمد تيمور متعصباً للعرب والعربية والاسلام ، يهتم لذلك اهتمامه لأقدس شيء لديه ، وكان اذا شمّ من بعيد رائحة من شخص يريد السوء بمقدساته هذه او يكتب فيها كتابات بعيدة عن مواطن الحقيقة يستعديه و يبتعد عنه ، و يتأفف في باطنه منه ، ولما شاعت دعوة انصار القديم والحديث في مصر ، آلى على نفسه ان لا يطالع من الصحف الا جريدة الاخبار للمرحوم امين الرافعي لان صاحبها متدين يدافع عن الاسلام والمسلمين ، فلا يقرأ فيها ماتنقبض له نفسه مع انه من أوسع الناس صدراً . وكتب في هذا الشأن يوم (١ جمادى الاولى ١٣٤٦) : « ومن نكد الايام اني لم أزل ممنوعاً من المطالعة والاشتغال بامر الاطباء حتى ضاقت الدنيا في وجهي وساءت اخلاقي لاني لم اتعود الجلوس في الملاهي ولا أدري كيف أقضي اوقاتي مع هذا الحجر . وقد منعوني ايضاً من مطالعة الجرائد التي لا تروق لي خطتها ولا تتفق مع مشربي فحصرت أقتصر على مطالعة جريدة الاخبار لانها توافقني ولا سيما في المدافعة عن الاسلام والانتصار له ومقاومة الالحاد المعبر عنه في لسان هذا العصر بالجمود او الرجعية ولا حول ولا قوة الا بالله » .

ولما تعرض بعض اصدقائه للنيل من المأمون (واسطة عقد الخلفاء وفخر الامة العربية) اخذ يعالجه بالوسائط المنوعة كما يعالج الطبيب المريض حتى اعتدل وعاد للانتصار للعرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومدنيتهم « فكتب نبذة في الاهرام نصحه في آخرها ان يعيد سيرته الاولى التي لم ينل شهرته الا بها » . وله مع صديقه هذا مناقشات في الصحف والمجالس لانه يبرر عمل الكماليين في نزع الخلافة مما لا يتسع له هذا المقام . وكان غضب تيمور من صديقه هذا مما لا يستكثر من غيور على الاحتفاظ بمقدسات أمته . ولما ألّف الاستاذ علي بك عبد الرازق كتابه في الاسلام واصول الحكم خالفه تيمور في اجتهاده وتألّم لما كتب الماً شديداً . وكتب لي بصف هذه الفتنة ويستحسن أقوال من ناقشوا المؤلف في موضوعه . ولما رأى انني تصديت لنقد كتب بعض انصار التجدد في مجلة المجمع العلمي طرب واغتبط ، وتألم لما قرأ تقريظاً لي لبعض نبغائهم ، لكن ادبه حال دون التصريح بذلك .

كتب مرة (٢ شعبان ١٣٤٣) : واني من رأيكم في اقتدار الشيخ ... وجودة أسلوبه وعدم الموافقة على بعض آرائه المتطرفة وخصوصاً عن العرب وآدابهم فانه كثير الغض منهم في كل شيء ومن دواعي الأسف ان هذه الآراء السخيفة تنشر اليوم بسرعة بين الناشئة حتى صار من المضحكات عندهم التحدث ببلاغة القرآن او بفضل العرب انا لله وانا اليه راجعون . وسيدي حفظه الله أعرف مني وأسد رأياً في أسلوب الرجل وغاية ما يظهر لي مع إعجابي به كثرة التكرار في بعض المواضع والظاهر انه يتعمده لانه يستحسنه و يظن انه طريقة جديدة تروق للقراء ..... » . بل ان احمد تيمور كان يتألم لاقل من هذا اذا كان فيه العبث بمشخصات الامة ، فقد جاء في رسالة في (٢٠ آذار ١٩٢٤) : لما كانت لجنة عمل الدستور مجتمعة في العام الماضي وشاع انها ستسمى المجلسين بالبرلمان قدم لها بعض الفضلاء ومنهم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندري عضو مجمعنا اقتراحاً بتسميتها بدار الندوة فعارض بعض اعضائها في ذلك وكان المشايخ المعممون منهم أشد معارضة وعلى هذا سمي اكبر مظهر من مظاهر استقلالنا باسم أعجمي مع وجود الاسم العربي عند العرب من زمن الجاهلية ولله الأمر من قبل ومن بعد » .

عطفه على من يعطف على العربية

ولقد كان على تعصبه لامته ودينه وقوميته وعربيته متساهلاً مع من يخالفونه في معتقده ، ولطالما خرج أمثاله من مجلسه وهما رأوا من عنايته بهم ، خصوصاً اذا كانوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من المشتغلين بالعلم والادب ، ما اطلق السنهم بشكره ، وعقد قلوبهم على حبه ، واورثهم حسن الظن بهدى دينه وتاريخ أُمته ، وايقنوا ان الرجل قد يتعصب لشخصانه ولكنه يريد الخير كله لمن يوافقونه من بعض الوجوه على ما تشبعت به نفسه و يحكموا على مايرون بالمعقول والمنطق . ولقد اقترح على المجمع العلمي ان يضم اليه الاستاذ اسعد داغر لانه خدم اللغة العربية . وشق عليه ما نال الاستاذ الاب انستاس ماري الكرملي يوم غضب عليه رؤساؤه في ديره ببغداد وقضوا عليه ان يذهب للاعتكاف في دير لهم في جبل الكرمل متخلياً عن كتبه وتآليفه ، وسعى للافراج عنه ليرجع الى بلاده وحتى لاتحرم اللغة نفثات قلمه ولا سيما من معجمه الفرنسي العربي الذي اقام على تأليفه زهاء ثلاثين سنة . واودعه من الفصيح كلمات كثيرة نحن في اشد حاجة اليها ، ساءه لما حل بصديقه (لما كان لهذا العلامة من الآثار النافعة في اللغة) . ولقد خدم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انواع الخدم العلمية لانه ابقن انه يخدم اللغة العربية بابحاثه . وكل من يخدم اللغة والعلم هو حبيبه . ولقد اعجب مرة بمقالة للاستاذ انيس سلوم في التعريب نشرت في مجلة المجمع فكتب في (٢٥ صفر ١٣٤١) « فاني ماكدت آتي عليها حتى علمت ان للعربية انصاراً وان قل عديدهم وان لطف الله لم يزل حافاً بهذه اللغة بعد ان كنت في يأس عظيم من انهاضها لا ارى فيها الا استجابة دعوة جرول في قوله لامه :

جزاك الله شراً من عجوزٍ ولقّيت العقوق من البنينا

كما رآها من قبلي ابو العلاء في الدنيا ... » .

كتبت اليه مرة اوصيه باحد اصدقائي من رجال فرنسا الاستاذ المستشرق السيد اميل بيات وكان يريد ان يزور الازهر ويتعرف الى القاهرة من طريق العالمين لا السياسيين فأدهشه بما اطلعه عليه ومن عرفه اليهم من رجال العلم وماأغدق عليه من ضروب الاكرام حتى جاوز كلام صديقي بعد انقلابه الى بلاده في شكر احمد تيمور حداً عجيباً وبهذه العناية بالموصى عليه و بامثاله من ابناء الشرق وابناء الغرب ابان فضل مصر وفضل ابنائها على العلم ، وبلوغهم درجة عالية من الحضارة والثقافة ، و بالتالي اورث بعمله حسن الظن بالمسلمين عامة والشرق خاصة . وهذه هي الوطنية الحقة ولو كثر هذا العدد من دعاتنا على هذا النحو ، لتعريف الغرب بفضل الشرق ، لما اساء بعض الغربيين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الظن بنا وبمجتمعنا ولما صغروا من شأن مدنيتنا في الغالب تصغيراً قائماً على الهوى والجهل معاً .

آخرة المترجم

قلّ ان تمت لسعيد سعادته ، وبينما كانت السعادة ترفرف ظلالها على دار احمد تيمور ، وقد تزوّج من امرأة فاضلة وهي كريمة المرحوم احمد رسيد باشا احدوزراء مصر فولدت له ثلاثة أولاد اسماعيل ومحمد ومحمود فتعلقت ارادة المولى ان يفقد زوجته وهو في التاسعة والعشرين من عمره (ولد سنة ١٢٨٨ هـ وتوفيت زوجته سنة ١٣١٧) فلم يرض ان يتزوّج ثانية وقال لي وانا أحثه على الزواج : المسألة معقدة من وجهين الاولى انه يتعذر وجود زوجة تشبه أم الاولاد بعقلها وأدبها وصيانتها ، والثانية انني أخاف على اولادي من خالة تنغص عليهم عيشهم . وكان كما أراد فعاش أرمل متبتلاً ومثال الوقار والصون والعفاف .

وكان المترجم متديناً تديناً حقيقياً ولم يعرف عنه انه ترك صلاةً ولا صوماً ، وحج مرة كما زار اوربا مرة وزار الشام مرة والاستانة مرة ، وكان القرآن يتلى ابداً في داره وفي عزبته وفي ذهبيته وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والحكماء تردد في ناديه ولم يعهد ان غشيه أرباب المساخر والملاهي اومال يوماً الى مصاحبتهم ، بل كانت اوقات فراغه كلها مصروفة في الجد يتخللها بعض المزاح المقبول مع خاصة أصحابه وكان اذا اتفق ان القى احد المختلفين اليه كلمة هجر يتصامّ عنها ويلوي وجهه وربما احمر خجلاً كأنه هو الذي قالها . ولو كان حظ خاصة المصريين من الجد حظ هذا الرجل العظيم لبلغت مصر في مدنيتها شوطاً أوسع من الشوط الذي بلغته .

ولقد عني بتربية بنيه التربية الحسنة وعلمهم العلوم العالية لكن أصيب منذ عشر سنين بفقد ثاني أولاده محمد ، وكان من أرقى شباب مصر علماً وادباً وجمالاً وكمالاً وجواب تعزيتي له قوله في (١٣ رجب ١٣٣٩) : « فشكراً لسيدي الاخ الاعز على ما تفضل به من مؤاساتي في مصيبتي العظيمة التي هدّت ركني ونغصت عليّ مابقي من ايامي » وكان كما قال لا يكاد يتجه بعدها نحو الصحة حتى ينعكس وأصبح اكثر الأحيان من المتشائمين لا المتفائلين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يزيد ذلك كلما تراجعت صحته وأيقن بقرب منيته . كتب (١٩ يوليه ١٩٢٤) : « وقد أشار عليّ طبيبي حينما استدعيته امس بالسفر الى اوربا وعين لي بلدة بالمانيا يقصدها المرضى بالقلب فلم أقبل لاني لا أستصوب السفر الى مثل هذه الديار وانا مصاب بمرض خطير بل أفضل البقاء بين ولديّ وأحب ان لا أتعبهما في موتي كما لم اتعبهما في حياتي » .

نعم كان العقد السادس من حياة عظيم العلماء ونابغة المصر بين حياة نغص وغصص ، ومع هذا كان لا يضن بوقته على افادة قاصديه ، ويكلف صحته اكثر من طاقتها لنفع الناس وكان خاصة اصحابه يمتنعون عن مراسلته او زيارته ، لئلا يكلفوه في قضاء الواجب نحوهم ماقد يضر بصحته ، حتى ناداه ربه الى جواره في صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٨ (٢٦ ابريل ١٩٣٠) فكان لمنعاه في مصر والبلاد العربية وفي مجامع علماء المشرقيات في الغرب رنة أسى وحسرة وذكره الناس بالرحمة وعزى بعضهم بعضاً على فقد رجل الاسلام والعرب . وشمل الحزن عامة الطبقات المفكرة رحمه الله عداد حسناته للعربية والعروبة وانا لله وانا اليه راجعون .

ايها السادة : هذا ما عرفته من حياة صديقي الذي عددت فجيعتي به من اعظم الفاجعات ، وعلم الله انني ماالقيت عليكم من صفاته الا ماثبت عندي ثبوت الشمس والقمر ، ولم أحاول ان اكتب فيه سطراً الا بعد ان انفثأت بعض سورة الحزن عليه ، وعسى ان يسعني عفوكم فتسبلوا ذيل المعذرة على ذكر اسمي ، خلافاً لعادتي ، مقروناً الى اسمه الكريم في هذه المحاضرة ، بيد اني لم أر لي مخلصاً من ذلك ، لان المسألة مسألة ذكريات شخصية لا بدّ فيها من ذكر الفريقين ، والله يرحمنا و يتولانا بمعونته .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net